بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

وأنذر عشيرتك الأقربين

رؤية قرآنية تاريخية

تأليف

د. علي زناد كلش البيضاني

العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة النشاطات الدينية
وحدة الإصدارات

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية ١٤٣٣ لسنة ٢٠١٨ - ١٤٣٩

مصدر الفهرسة:	IQ – KaPLI ara IQ –KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	BP145. D3 B39 2018
المؤلف الشخصي:	البيضاني، علي زناد كلش، مؤلف.
العنوان:	وانذر عشيرتك الاقربين : رؤية قرآنية تاريخية /
بيان المسؤولية:	تأليف الدكتور علي زناد كلش البيضاني.
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الدينية، شعبة النشاطات الدينية، ٢٠١٧ / ١٤٣٨ للهجرة.
الوصف المادي:	[١٢٨] صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	العتبة الحسينية المقدسة ؛ (٣٩٧).
سلسلة النشر:	شعبة النشاطات الدينية ؛ (٥٧).
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (١٠٩-١٢٧).
موضوع شخصي	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - اثبات خلافة.
موضوع شخصي	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - فضائل.
مصطلح موضوعي	القرآن - سورة الشعراء. آية ٢١٤ - تفاسير الشيعة الامامية.
مصطلح موضوعي	حديث الدار.
مصطلح موضوعي	الامامة - احاديث.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الدينية. شعبة النشاطات الدينية - جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

جدول المحتويات

المستخلص

إنَّ اختيار الدراسات التي ترتبط بالتمازج بين القرآن والتاريخ يمثل تنضيجاً للموضوع قيد الدراسة لما يُضيف له من رؤى جديدة واستدلالات قويمة،وموضوع البحث﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ رؤية قرآنية تاريخية يمثل إطاراً منهجياً لهذا النوع من الدراسات، وبالأخص للموضوعات التي تحمل في طيّاتها إشكالات عدّة، إذ تناولنا في هذا البحث الجانب القرآني لآية الإنذار، واشتملت فقراته على بيان المعاني والمفاهيم للآية القرآنية ذات الصلة ودراستها موضوعياً مع ما ورد في القرآن لهذه المفردات، وبيان دلائلها علمياً، ودرسنا اختلاف المصادر

في إيراد رواية إنذار العشيرة، والتلاعب التاريخي بروايـة إنـذار العشـيرة وأسـباب دعـوة الأقربـين وبيـان الـدلالات المهمـة في حديـث الـدار، وخُتـم البحـث بأهـم النقـاط التـي توصلنـا إليهـا مـن نتائـج أفرزهـا البحـث عنـد دراسـة مضامينـه.

المقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلَّا هو الحي القيوم بديع السماوات والأرض وما بينهما، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين.

تشغل القضايا التاريخية ذات الأبعاد المهمة حيزاً كبيراً في ميدان البحث التاريخي، لما تمثله من إطار يتداخل في جزئيات المسيرة البشرية راسماً لها بذلك منهجاً سلوكياً عاماً، وصورة الأهمية تنبعث من حساسية الحدث وخطورته، لا سيما إذا كان مؤطراً بالبُعد العقائدي الذي يمس البنى والتوجهات الدينية لمجتمع ما، وتزداد فاعلية

الحدث، وتُصعّد وتائر حساسيته إذا كان هناك تمازج وارتباط ثنائي لهذا الحدث على المستويين القرآني والتاريخي، فدلالات التواجد للحدث التاريخي في الإطار القرآني يكسبه الدخول في معترك الانتماءات والتداخلات والتفسيرات المتعددة التي تنطلق من رؤية ذهنية قبليّة يكون فيها التجرد والحياد أمراً عسيراً وبهذا تكون صورة المنهج للبحث العلمي من خلال تفكيك المراحل، وإعادة التركيب من جديد عبر منهاج استقصائي تحليلي ومداخل نقاشية غير خاضعة لأيِّ تراكمات سوى ما تمليه النصوص من معطيات وظفت لتحقيق مقاربة موضوعية لحقائق التاريخ تكاد تكون نادرة بفعل الاسقاطات المتعددة التي لا ينفك منها المؤلف.

ولا شك أنَّ حديث الإنذار موضوع البحث ينطبق عليه ما ذكرناه آنفاً لتوافر الخصائص والمعطيات التي تجعله حديثاً مطاطاً يتسم

بالتناسل لا يستقر عند توصيف معين، هذا ما يضيف له صعوبة أُخرى في الوصول للتحديد الأمثل للقصديّة، ولعلَّ وضع التفسيرات والآراء المتعددة لهذا الحدث التاريخي المهم حديث الإنذار ومناقشتها وبيان نقاط القوة والضعف فيها مع الربط القرآني لهذه المعطيات ربَّما يساعد في الوصول إلى ملامسة تخوم الحقيقة عند إيراد الإشكالات ومعالجتها على مائدة المنهج العلمي وتسليط الضوء عليها ووضعها تحت المجهر التحليلي من الجوانب كافة، ولا ندَّعي الكمال فيما نتوصل إليه لأنَّ ميدان وفضاء البحث التاريخي مفتوح وقائم على مصراعيه للإدلاء بكلِّ ما هو جديد.

وارتأينا في هذا البحث دراسة هذا الموضوع من جانبين، وهما (الجانب القرآني) و(الجانب التاريخي) وذلك لإغناء الموضوع أكثر، وربط الأحداث تبادلياً بين القرآن والتاريخ للتوظيف

الموضوعي قدر الإمكان، وبيان أوجه التوافق والاختلاف في الجانبين فيما يخص هذا الأمر رغبةً في إماطة اللثام عن وجه الحقيقة، لاسيما بالاستعانة بالعديد من مصادر التفسير وما له علاقة بالدراسات القرآنية وما تشكّله المصادر التاريخية من الإسهام الكبير في التناول التاريخي لمجريات الأحداث.

لذا قُسّم البحث إلى مبحثين يحتوي على فقرات عدّة، إذ اختص المبحث الأول بالجانب القرآني لآية الإنذار واشتملت فقراته على بيان المعاني، والمفاهيم للآية القرآنية موضوع البحث ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ودراستها موضوعياً مع ما ورد في القرآن لهذه المفردات، وبيان دلائلها علمياً.

أما المبحث الثاني فقد عُنيَ بالجانب التاريخي وهو العمود الفقري للبحث نظراً لما يشكّله من زخم كمّي ونوعي، وقد احتوى على فقرات عدّة

منها بيان اختلاف المصادر في إيراد رواية إنذار العشيرة، والتلاعب التاريخي برواية إنذار العشيرة وأسباب دعوة الأقربين وبيان الدلالات المهمة في حديث الدار.

واختتم البحث بنقاط مركزة جُعلت خاتمة للبحث وما توصل إليه من نتائج، واستخدم في البحث العشرات من المصادر المختلفة التي لها ارتباط مباشر وغير مباشر بموضوع البحث.

وختاماً أسأل الله العلي القدير أنْ أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث، وأبرزت فيها قدر المستطاع الصورة الموضوعية لهذا الحدث التاريخي المهم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين

والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين

محمَّد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين

إلى قيام يوم الدين.

المبحث الأول

الجانب القرآني

لا يخفى على ذي لبٍّ ما للدراسات القرآنية أو الربط القرآني للأحداث من أهمية كبيرة على مستويات عدّة تُسهم في بيان المضامين والمقاصد المرتبطة بالمفردات وإنْ تعددت تفسيراتها وتنوعت، لكنَّها تشكّل المدخل العام للإحاطة الموضوعية بجزئية البحث المدروس، ودراسة الجانب القرآني لآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1] يمثّل إضافة مهمة لمدخلية البحث، ولعلَّ دراسة المعاني للمفردات القرآنية وربطها بما ورد بالمفردات الأُخرى المشابهة أو المُقاربة لها في القرآن الكريم يسهم في الوصول أو الوقوف عند تخوم

---

(١): الشعراء، الآية: ٢١٤.

المعنى والقصد المتوخى من ذلك، وفهم المعنى هو الطريق أو المفتاح للكثير من المغاليق المُبهمة في دراسات كهذه، ولنا أنْ نخوض جولة في ميدان الألفاظ القرآنية وبيان معانيها في (المتشابه والمختلف) فيما يرتبط بجزئية البحث المدروس وهي كالآتي:

أولاً: الإنذار:

لغةً (ن ذ ر) كلمة تدلُّ على تخويف أو تخوّف منه، الإنذار الإبلاغ ولا يكاد يكون إلَّا في التخويف، وتناذروا خوّف بعضهم بعضاً[١]، والإنذار إخبار فيه تخويف كما أنَّ التبشير إخبار فيه سرور قال تعالى ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾[٢] ... والنذير المنذر ويقع على كلِّ شيء فيه إنذار

(١): ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا ت٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٥ / ٤١٤.

(٢): الليل، الآية: ١٤.

إنساناً كان أو غيره[١]، وأصل الإنذار الإعلام يقال: أنذرته أنذره إنذاراً إذا أعلمته فأنا منذر ونذير أي معلم ومخوف ومحذر... ومنه الحديث أنذر القوم أي احذر منهم واستعد لهم وكن منهم على علم وحذر[٢].

أمَّا اصطلاحاً: هو الإعلام بما يحذر ولا يكاد يكون إلَّا في التخويف يسع زمانه الاحتراز منه، فإنْ لم يسع كان إشعاراً[٣]، والإنذار هو إبلاغ المخوف منه والتهديد والتخويف وذكر الوعيد

---

(١): الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت ٢٠٥ هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني دار النشر: دار المعرفة - لبنان (د. ت)، ٧٨٤.

(٢): ابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد ت ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٥ / ٨٣.

(٣): المناوي، محمد عبد الرؤوف ت ٢٥٩هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١ القاهرة، ١٤١٠هـ ١٩٩٠، ٤٦.

مع الإنذار واجب لا مع التهديد[١]، ونقلت التفاسير القرآنية مفهوم الإنذار مشابهاً لما ورد آنفاً ومن تلك المعاني هي (العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي)[٢].

ويُفهم من التعريفات الواردة الآنفة الذكر أنَّ هناك نوعاً من التوافق والتشابه بينهما من حيث التأكيد على التخويف والوعيد، وهذا ما يمكن ملاحظته بالمقارنة مع الآيات القرآنية الأُخرى

---

(١): الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت ١٠٩٤هـ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٢٩٢.

(٢): أبو السعود، محمد بن محمد العمادي ت٩٨٢هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (د، ت)، ٦ / ٢٦٧؛ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ت ١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت)، ١٩ / ١٣٤.

التي وردت فيها لفظة الإنذار على الرغم من تقديم التبشير على الإنذار في بعض الآيات ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١. ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾[1].

٢. ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2].

٣. ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[3].

٤. ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[4].

---

(١): إبراهيم، الآية: ٤٤.

(٢): يس، الآية: ٠٧.

(٣): الأنعام،الآية: ١٥.

(٤): غافر، الآية: ٨١.

٥. ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾[١].

٦. ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٢].

٧. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣].

٨. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

٩. ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾[٥].

١٠. ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى

---

(١): النبأ، الآية: ٤٠.

(٢): فصلت، الآية: ٣١.

(٣): الأحزاب، الآية: ٥٤.

(٤): سبأ، الآية: ٨٢.

(٥): مريم، الآية: ٧٩.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

وربَّ سائل يسأل ألا يُعدّ هناك اختلاف في تقديم البشارة على الإنذار؟ وما السبب في ذلك؟

انطلاقاً من عصمة القرآن واستحالة تناقضه واختلافه بأيِّ حال من الأحوال فلا نجد للاختلاف مكاناً في هذا المجال، وإنَّما هو التساير للمنهج التعليلي السببي للقرآن الكريم الذي ينطلق من قصديّة لا اعتباطية، أمَّا السبب في تقديم مفهوم البشارة على الإنذار فهذا الأمر لا يخفى على كلِّ عارف بالله تعالى فهو يقدم الرحمة على العذاب والبشارة على الإنذار والخير على الشر والجنة على النار؛ لأنَّه معدن الرحمة واللطف بالعباد ومن دواعي رحمته تبارك وتعالى وهو القائل ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢]، وهذا لا يعني التركيز على البشارة دون الإنذار

---

(١): المائدة، الآية: ٩١.

(٢): الحجر، الآية: ٩٤.

بل لكلٍّ موضعه إذ ذكر الله تعالى الإنذار في القرآن الكريم مائة وعشرين مرة، وكانت أكثر تلك الآيات في السور المكية؛ لأنَّ في ذلك مناسبة لحال العرب في تلك المدة، من عبادتهم للأوثان والأصنام.

والمتأمل بعين التدبر يجد أنَّ المُنذِرين في الآيات القرآنية ما يقرب من خمسة أصناف وهم: الله جلَّ جلاله، والرسل عليهم السلام الذين بُعثوا لإنذار الناس، والقرآن الكريم بما يحويه بين دفتيه من وصف لعذاب الله، ثمَّ المؤمنون، وأخيراً الجّن؛ لا سيما أنَّهم مكلفون كالإنس فهم يُنذِرون بني جنسهم، في قبال ذلك نجد التخصيص في الإنذار على مستويات عدّة أهمها المؤمنون، ثمَّ الأقارب، وأهل مكة، وتخصيص الآيات القرآنية للظالمين بالإنذار، وأهل الكتاب لما هم عليه من الضلال، ثمَّ الناس جميعاً، وأخيراً الجن.

ولنا أنْ نستبين الحكم و الفوائد المتوخاة من

الإنـذار القـرآني عـلى الصُعـد المختلفـة أهمهـا:

أولاً: لكـي يصـل تبليـغ النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه للعالمـين جميعـاً.

ثانيـاً: لكـي يصـل تبليـغ النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه لـكلِّ مـن بلغـه القـرآن أنَّـه أصبـح محجوجـاً بـه.

ثالثـاً: لإنـذار أقـوام تذرعـوا بأنَّهـم اتبعـوا آباءهـم ولم يبلغهـم أو ينذرهـم أحـد.

رابعـاً: للإعـلان والتعريـف بـأنَّ الله عـزَّ وجـلَّ رحمـن رحيـم، لكـنَّ بأسـه شـديد.

خامساً: جَبَلَ الله تعـالى النـاس عـلى حـبِّ الدنيـا وزينتهـا واتبـاع الأجمـل والتهـاون في العاقبـة والمـآل ونسـيان يـوم الرحيـل، لذلـك حذرهـم الله تعـالى وأنذرهـم بالوعـد والوعيـد والوقـوف أمـام الله تعـالى وأنذرهـم مـن اتبـاع الشـيطان وأهوائـه وملـذات الحيـاة الدنيـا مـن أجـل سـعادتهم في الداريـن فـكان تعـالى محـذراً ومنـذراً إياهـم ومعرضـاً حـال مـن كان هذا دأبه.

سادساً: التهيؤ للقاء الله عزَّ وجلَّ والاستعداد للوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ والعمل على نيل مصير أهل الجنة والابتعاد عن مصير أهل النار ولذلك يذكَّرهم الله عزَّ وجلَّ بهذا الموقف رجاء الاستعداد[١].

ويمكن أنْ نضيف بعض الفوائد والحكم للإنذار ومنها أنَّ الإنذار يُبرّء ساحة المنذر من المسؤولية تجاه الآخرين، كما أنَّ قبول الإنذار دليل على خشية المنذر واتّباعه للأوامر والنواهي الإلهية، وفيه إشارة إلى أنَّ المُنذر مؤتمن على قومه حريص عليهم وهذا يُشير بصورة واضحة للرسول محمَّد صلَّى الله عليه وآله في إنذاره للأُمَّة دليل على كمال شفقته ورحمته بها.

إجمالاً يمكن القول: إنَّ فلسفة الإنذار تكمن

(١): الزيدي، مثنى علوان، الإنذار الإلهي في القرآن الكريم من خلال بعض آياته دراسة موضوعية ، دمشق سوريا، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، ٤١.

في تخويف الناس وتهديدهم من عقاب الله عزَّ وجلَّ وسخطه، وتذكيرهم وإيقاظهم من غفلتهم، وإقامة الحجة عليهم بتبليغهم دين الله عزَّ وجلَّ، وهدايتهم وإرشادهم للطريق المستقيم.

ثانياً: العشيرة

التحليل اللغوي والقرآني للفظة العشيرة يمكن أنْ نستخلص منه نتائج ونقف بإزاء ذلك على جملة من المعطيات والدلالات، إذ عُرِّفت العشيرة لغةً هي (عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون)[١]، فهنا لفظ «العشيرة» مشترك لفظي بين: بني الأب الأدنَين، ولا نميل إلى ما ذهب إليه ابن فارس بقوله عن لفظة العشيرة (المخالطة والمداخلة فالعشرة والمعاشرة وعشيرك الذي يعاشرك.. وإنَّما سميت عشيرة الرجل لمعاشرة بعضهم بعضاً حتى الزوج عشير امرأته)[٢]، لأنَّ الرابطة تتمثل

(١): ابن منظور، محمد بن مكرم ت ١١٧ هـ، لسان العرب، ط١ دار النشر: دار صادر – بيروت، (د. ت)، ٤ / ٤٧٥.

(٢): مقاييس اللغة، ٤ / ٦٢٣.

بالجانب النسبي وليس العاطفي، إذ ليس كلُّ صديق نعاشره يصبح من العشيرة ويرتبط بهم ارتباطاً نسبياً، كما أنَّ تسمية المرأة بالعشير لزوجها لا يمكن أنْ نُحقّقه في هذا الإطار لأنَّ من الممكن أنْ تكون الزوجة من غير عشيرة لا تمتُّ للزوج بصلة نسبية، ثمَّ إنَّ وقوع حالة الطلاق بينهما يُفصم عُرى الزوجية وتنتهي أسباب الارتباط، بينما نجد في المقابل أنَّ وجه الارتباط النسبي لا مفكّ منه مهما كلفت الظروف وصعبت الأُمور، أمَّا ما ذكر في القرآن في قصة النبيِّ نوح عليه السَّلام مع ابنه ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1]، فلا يعني نفياً للأُبوة النسبية بدلالة ما جاء في كتب التفسير

---

(١): هود، الآيتان: ٥٤ ٦٤.

بالقـول: (أي ليـس منهـم أصـلاً لأنَّ مـدار الأهليـة هـو القرابـة الدينيـة ولا علاقـة بـين المؤمـن والكافـر أو ليـس مـن أهلـك الذيـن أمرتـك بحملهـم في الفلـك لخروجـه عنهـم بالاسـتثناء وعـلى التقديريـن ليس هـو مـن الذيـن وعـد بإنجائهـم، ثـمَّ علـل عـدم كونـه منهـم عـلى طريقـة الاسـتئناف التحقيقـي بقولـه تعـالى: إنَّـه عمـل غـير صالـح أصلـه أنـه ذو عمـل غـير صالـح فجعـل نفـس العمـل)[١]، وذكـر أيضـاً في هـذا الصـدد بالقـول: (ثـمَّ أجـاب الله سـبحانه عـن نـوح عليـه السَّـلام ببيـان أنَّ ابنـه غـير داخـل في عمـوم الأهـل وأنَّـه خـارج بقيـد الاسـتثناء فقـال: يـا نـوح إنَّـه ليـس مـن أهلـك الذيـن آمنـوا بـك وتابعـوك وإنْ كان مـن أهلـك باعتبـار القرابـة، ثـمَّ صرَّح بالعلّـة الموجبـة لخروجـه مـن عمـوم الأهـل المبينـة لـه بـأنَّ المـراد بالقرابـة قرابـة الديـن لا قرابـة النسـب

(١): أبو السعود، إرشاد العقل، ٤ / ٢١٢.

وحده)[١]، وما ورد في الآية القرآنية ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[٢]، ينطبق عليه ما ورد في قصة النبيِّ نوح عليه السَّلام، وعليه تكون لفظة العشير التي بمعنى الصاحب المعاشر في هذه الآية خارجة عن موضوع البحث.

أمَّا ما يرتبط بموضوع البحث قرآنياً هو ما ورد في الآية موضوع البحث ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٣]، وكذلك في ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ

---

(١): الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ت١٢٥٠هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار النشر: دار الفكر - بيروت (د. ت)، ٢ / ٢٠٥.

(٢): الحج، الآية: ٣١.

(٣): الشعراء، الآية: ٢١٤.

بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

إذن لفظة العشيرة هم الذين يرتبطون بالرابطة النسبية القريبة بدلالة ما ذكر في بيان مفهوم العشيرة ودرجة القرابة بين رجالها بالقول (وهم الذين يتعاقلون أي يرتبطون إلى أربعة آباء... فدعا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله علياء قريش إلى أن اقتصر على بني عبد مناف، وهم يجتمعون معه في الجدّ الرابع، فمن هاهنا جرت السّنة بالمعاقلة إلى أربعة آباء)[٣].

---

(١): التوبة، الآية: ٤٢.

(٢): المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣): النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: د. حسن

ثالثاً: الأقربون

وردت لفظة الأقربين في الآية مدار البحث بمعنى (الأدنون) أي شدّة القرب للرجل من عشيرته، إذ ذكر في معنى الأقربين لغوياً (القرابة والقربى الدنو في النسب والقربى في الرحم وهي في الأصل مصدر... وما بينهما مقرُبة ومقرَبة ومقرِبة أي قرابة وأقارب الرجل وأقربوه عشيرته الأدنون)[1]، وذكر في هذا المجال أيضاً (قَرُبَ الشيء بالضم يَقْرُب قُرباً، أي دنا... وقَرِبته بالكسر أَقْرَبَهُ قُرْباناً، أي دنوت منه)[2].

أمَّا قرآنياً فقد وردت لفظة القُرب بألفاظ متعددة واشتقاقات متنوعة في موارد عديدة في

قميحة، د. حسن نور الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤ م، ٢ / ٣٠٣ ٣٠٣.

(١): ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٦٦٥.

(٢): الجوهري، إسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١ / ١٩٨.

القرآن الكريم مثل (ذوي القربى أُولوا القربى ومقربة) كلٌّ بحسب السياق الوارد في القرآن وطبيعة الحدث الذي نزلت بسببه الآية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[1]، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

---

(١): النساء، الآية: ٧.

(٢): البقرة، الآية: ٥١٢.

(٣): الأنفال، الآية: ١٤.

أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١]، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[٢]، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣].

إذ يمكن التوصل إلى نقطة مهمة نستوضح من خلالها أصحاب الدعوة في الآية القرآنية ألا وهم قرابة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وليس مطلق قريش بدلالة ما ذكر في كتب التفاسير بالقول: (وهم بنو هاشم وبنو المطلب)[٤]، وورد أيضاً بمعنى (أدنى أهلك وأقاربك)[٥]، كما أكدته المصادر الأُخرى

---

(١): التوبة، الآية: ١١٣.

(٢): البلد، الآية: ١٥.

(٣): الشورى، الآية: ٢٣.

(٤): جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي ت ٨٦٤هـ، السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن ت٩١١هـ، تفسير الجلالين، ط١، دار النشر: دار الحديث – القاهرة، ٤٩٢.

(٥): الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن ت٤٦٨هـ،

بالقول: (فإنَّ ذوي القربى لفظ عام خصّ ببني هاشم والمطلب)[١]، ويمكن الاستدلال على خصوصية الدعوة للأقربين من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله دون عمومهم من خلال حادثة تاريخية وهي عندما كتبت قريش صحيفة المقاطعة، إذ ورد (وهذا يدلُّ على أنَّ بين هاشم والمطلب ائتلافاً سرى في أولادهما من بعدهما ولهذا لما كتبت قريش الصحيفة بينهم وبين بني هاشم وحصروهم في الشعب دخل بنو المطلب مع بني هاشم ولم تدخل بنو نوفل وبنو عبد شمس)[٢]، ولا يعني

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١،تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت - ١٤١٥هـ، ٢ / ٨٩٧.

(١): ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، (د. ت)، ٦ / ٢٤٢.

(٢): ابن حجر، المصدر نفسه، ٦ / ٢٤٥.

هـذا الائتـلاف مـبرراً في دمـج النسـب بينهـما، لأنَّ ذوي القربـى أو العشـيرة الأقربـين منحـصرة في بنـي هاشـم دون بقيـة أولاد عبـد منـاف، وبهـذا يكـون بنـو عبـد المطلـب بـن هاشـم هـم الشريحة الأخـص التي وُجّهت لها الدعـوة في حديث الإنـذار. ولابـد مـن الالتفـات هنـا إلى أنَّ بنـيِ المطلـب هـم غـير بنـي عبـد المطلـب بـن هاشـم[1]. كـما يشـير ذلـك إلى دلالـة وهـي أنَّ قريشـاً وإنْ كانـت قريبـة لرسـول الله صلَّى الله عليـه وآلـه بالمعنـى العـام لسـائر العـرب، إلّا أنَّ أهـل بيتـه مـن بنـي عبـد المطلـب بـن هاشـم أقـرب إليـه مـن بقيـة قريـش. وهنـا يكـون لفـظ «الأقربـين»

---

(١): عبـد المطلـب هـو جدّ النبـيِّ محمّـد صلىَّ الله عليـه وآلـه وابـن هاشـم بـن عبـد منـاف. اسـمه الحقيقـي هـو شـيبة بـن هاشـم ولكنَّـه لم يُعـرف إلّا بلقبـه عبـد المطلـب والـذي أُعطي لـه تكريـماً لعمـه مطلـب بـن عبد منـاف الـذي اعتنـى بـه وربّـاه. للتفصيـل ينظـر: البـلاذري، أحمـد بـن يحيـى ت ٢٧٩هـ، أنسـاب الأشراف، تحقيـق: د. محمـد حميـد الله، دار المعـارف مـصر (د. ت)، ١ / ٤٦.

واصفاً العشيرة التي تخص بني هاشم بمعناها الخاص دون غيرهم، ومانعاً من أنْ يكون المقصود العشيرة القرشية بمعناها العام أي قريش، وإسباغ الصفة العمومية على الحادثة.

المبحث الثاني

الجانب التاريخي

أولاً: اختلاف المصادر في إيراد رواية إنذار العشيرة

لا شك أنَّ الرصد التاريخي الموضوعي للروايات واستقراء جزئياتها وفق منهجية علمية يُرشد الباحث والمُتلقي إلى الوصول إلى تخوم الحقيقة أو ملامستها، ويرسم صورة واقعية للأحداث التاريخية بعيداً عن التكلّف والتعسف لمجريات الأحداث، ولنا أنْ نورد الرواية موضوع البحث كما وردت في المصادر لتكون مدخلاً لدراسة جزئياتها وما يتعلق بها، إذ روي عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام أنَّه قال:

«لمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلَّى الله

عليه وآله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال لي: يا علي إنَّ الله أمرني أنْ أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إنَّك إلّا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن، ثمَّ اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أُمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثمَّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلمّا اجتمعوا إليه، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلمّا وضعته تناول رسول الله صلَّى الله عليه وآله حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصحفة، ثمَّ قال: خذوا بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى

إلَّا موضع أيديهم وايم الله الذي نفس عليٍّ بيده وإنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثمَّ قال: اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً وايم الله، إنْ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلمّا أراد رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنْ يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: الغد يا عليّ إنَّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أنْ أكلمهم فعدَّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثمَّ اجمعهم إليَّ قال: ففعلت ثمَّ جمعتهم ثمَّ دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثمَّ قال: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ثمَّ تكلم رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطلب إنِّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء

قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به إنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإنِّي لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أنْ تسمع لابنك وتطيع»[1].

ووردت بلفظ آخر «لمّا أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله الصفا فصعد عليه ثمَّ نادى، يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلَّى الله عليه

(١): الطبري، محمد بن جرير ت٣١٠هـ، تاريخ الطبري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١ / ٢٤٥ ٣٤٥.

وآله: يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أنْ تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم قال: فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب لعنه الله تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلّا لهذا وأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾ قال: لمّا نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله قريشاً فعمّ وخصّ فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمّد أنقذي نفسك من النار فإنِّي والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلّا أنَّ لكم رحماً سأبلها ببلائها»[١].

---

(١): ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت٤٧٧ هـ، البداية والنهاية، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت، ٣/ ٨٣.

المُلاحظ على الروايتين وجود اختلاف في طبيعة التلقي للحدث من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والتعامل والتعاطي معه، وهذا الاختلاف ليس صادراً من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بقدر ما هو اختلاف الظروف الداعية للتوجه السلوكي له، أو ربَّما يكون اختلافاً صدرَ من المؤرخين في تناولهم للقضية، وهذا ناتج من الإسقاطات التي تُسيّر أقلام المؤرخين وتوجههم الديني والإيديولوجي، إذ نعتقد ما رواه الطبري هو الأقرب للحقيقة لأنَّ ورود بطون قريش (بني فهر وبني كعب) عند ابن كثير يتعارض مع لفظة الأقربين كما بيّناه عند دراستنا في الجانب القرآني لآية الإنذار في اقتصارها على بني هاشم.

كما أنَّ الوقوف على الجبل والمناداة بصوت عالٍ يؤدي إلى تجمع الناس الذين لا ينتمون لقريش ومعنى ذلك هو القفز على مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية فتوسط دعوة العشيرة

بين المرحلة السرّية والعلنية يكون قد انتفى لا سيما وأنَّ المُنادي لم يكن شخصاً عاديّاً أو مغموراً بل له مكانته وحيزه الكبير في المجتمع المكي مع وجود إشارات تُدلل على معرفة الناس به وما يدعو إليه قبل هذه الحادثة بدلالة الرواية **(فكان إذا مرَّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أنَّ غلام بني عبد المطلب ليُكلّم من السماء)**[1]، وهذا خلاف ما عهدناه من الوعي النبويّ في تدرجه للأُمور فضلاً عن التخطيط الإلهي للقضية.

كما أنَّ توجيه مثل هذا الخطاب العام إلى قريش لم يكن ميسوراً، فإنَّ قريشاً لم يؤمنوا به

(١): هو زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي من بني عامر بن صعصعة ويكنى أبا محمد سمع من منصور بن المعتمر ومغيرة والأعمش وإسماعيل بن أبي خالد ورجال أهل الكوفة وسمع الفرائض من محمّد بن سالم وسمع المغازي من محمد بن إسحاق وقدم بغداد فحدثهم بها وبالفرائض وغير ذلك ثمَّ رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ثلاث وثمانين ومائة في خلافة هارون. ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع ت٢٣٠هـ، الطبقات الكبرى، دار النشر: دار صادر بيروت د. ت، ٦ / ٦٩٣.

صلَّى الله عليه وآله سوى عدد قليل منهم حتى ينذرهم من عذاب النار ويكلمهم عن الشفاعة وعدمها، فمثل هذا الكلام يصح إذا خضعت قريش للإسلام واعتقدوا برسول الله صلَّى الله عليه وآله كنبيٍّ مرسلٍ برسالة سماوية، وإنْ كان اعتقاداً ظاهرياً كما أنَّ الروايات المتضمنة آية الإنذار تحكي أغلبها عن إنذار الأقربين من العشيرة في بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ولا تحكي عن شيء آخر[1] ومن المفترض أنْ يكون خطاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بقوله **(إنِّي لا أملك لكم من الله شيئاً، أنقذوا أنفسكم من**

(١): ابن سعد، المصدر نفسه، ١ / ٩٩١؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت بعد ٢٩٢ هـ، تاريخ اليعقوبي، دار النشر: دار صادر بيروت د. ت ، ٢ / ٤٢؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ت٧٩٥هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، ط١، دار النشر: دار صادر - بيروت - ٨٥٣١ هـ، ٢ / ٤٦٣؛ الحلبي، علي بن برهان الدين ت٤٤٠١ هـ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ٠٠٤١ هـ، ١ / ١٦٤.

النار) هذا الخطاب يصحّ أنْ يخاطب به من يؤمن بيوم القيامة وبرسالة الرسول صلَّى الله عليه وآله وينتظر شفاعته يوم القيامة، وقد وجدناه يتناقض ويتعارض مع منظومتهم الاعتقادية التي صرح بها القرآن من قبيل قولهم : ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[(١)] و ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[(٢)] وقالوا في الرسول صلَّى الله عليه وآله: إنَّه ساحر ومجنون وغيرها.

ثمَّ هناك من ذكر أنَّ صعود النبيِّ صلَّى الله عليه وآله على جبل الصفا وإنذارهم كان عند فتح مكة

---

(١): البحراني، هاشم بن سليمان ت ١١٠٧ هـ، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط٢، منشورات دار الأعلمي، بيروت لبنان ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ٥ / ٥٠٨ ٤١٥؛ الحويزي، عبد على بن جمعة العروسى ت١١١٢هـ، تفسير نور الثقلين، صححه وعلق عليه واشرف على طبعه الحاج السيد هاشم الرسولي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم – ايران د. ت ، ٤ / ٧٦ وما بعدها. حيث نقلا عشرة احاديث بهذا المضمون في ذيل الآية.

(٢): المؤمنون / ٧٣.

٨هـ وليس في هذه الحادثة في السنة الثالثة للدعوة الإسلامية، ومصداق ذلك ما نُقل عن الإمام الصادق عليه السَّلام قوله: «لَمَّا فتح رسول الله صلَّى الله عليه وآله مكة قام على الصفا فقال: يا بني هاشم يا بني عبدالمطلب إنِّي رسول الله إليكم وإنِّي شفيق عليكم لا تقولوا إنَّ محمداً منَّا فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلَّا المتقون، ألا فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدينا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة، إلَّا وأنِّي قد أعذرت فيما بيني وبينكم وفيما بين الله عزَّ وجلَّ وبينكم، وأنَّ لي عملي ولكم عملكم»(١).

فعقلاً لا يمكن تقبل رواية الصعود لجبل الصفا للمعطيات التي ذكرناها آنفاً، فالموازنة العددية لمضمون الروايتين واستقراء الجزئيات نُرجّح رواية الإنذار في بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لا على جبل الصفا، ومن الغريب أنْ نجد

---

(١): يس، الآية: ٨٧.

ابن هشام (ت ٢١٣هـ) السابق زمنياً على الطبري (٣١٠هـ) وابن كثير (٧٧٤هـ) قد حذف رواية الإنذار من كتابه السيرة النبويّة، ولنا أنْ نضع نقاطاً استفهاميّة على حذف ابن هشام للرواية المذكورة ومنها:

أولاً: هل ابن هشام نفسه قد تعمّد حذف الرواية من سيرته؟ مع علمهِ بأهميّة الحدث وعدّهِ مرحلة مهمة من مراحل السيرة النبويّة التي لا يجب القفز عليها فضلاً عن تجاهلها.

ثانياً: هل أنَّ زياد البكائي[1] -وهو من يروي عنه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق- لم يكن أميناً في نقله لروايات ابن إسحاق التي اعتمد ابن هشام عليها عن طريقه، وكان انتقائيّاً في اختيار الروايات، فكان سبب حذف الرواية يقع على

(١): الصدوق، أبو محمد علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ت١٨٣هـ، صفات الشيعة، الناشر: كانون انتشارات عابدي – طهران د. ت ، ٦٥ .

عاتق البكائي وليس ابن هشام؟

ثالثاً: هل كان سبب انفتاح الرواية العقيدي وحساسيتها في ذكر شخوص فيها، وما قرره النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله سبباً في تمذهب القضية، فألقت بظلالها على الرواية ممّا أدى بعد ذلك إلى حذفها؟ هذا الأمر نرجحه على التساؤل الأول والثاني لوجود مصاديق عدّة تنتهج النهج نفسه كما سنراه في سياق البحث إنْ شاء الله.

ثانياً: التلاعب التاريخي برواية إنذار العشيرة

تعرضّت رواية إنذار العشيرة للدسِّ والتشويه والتلاعب حالها حال الكثير من الروايات التاريخية الأُخرى، لكن يبقى على الباحث أنْ ينبري بموضوعية علمية إلى إبراز التناقضات واقتناصها ونقاط الضعف وتشخيصها ليكتشف بعد ذلك صور الإضافات والاقتطاع للرواية، ودراسة الأسباب التي أدت إلى هذا التوجه،

فبالإضافة إلى ما بيّنا في النقطة أولاً من اختلاف في إيراد الرواية وإثبات من هي الرواية الأقرب للواقع، سنسلك في هذه النقطة الثانية تفكيك الروايتين وبيان أوجه التلاعب فيهما بغض النظر عن صحة أو ضعف الرواية.

وهنالك تلاعب يمكن أنْ يُسجّل على الرواية وهو ما وجدناه عند الطبري، فالأخير في كتابه تاريخ الرسل والملوك يثبت عبارة: (**فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي ووصيي وخليفتي...**)[1]، لكنَّ الطبري عاد وأبدل العبارة الأخيرة في كتابه التفسيري جامع البيان بـ (**فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي وكذ وكذا... أنا يا نبي الله أكون وزيرك فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا**)[2]، إذ ذكر الطبري هذا الحديث في تاريخه

(١): الطبري، تاريخ الطبري، ١ / ٢٤٥ ٣٤٥.

(٢): الطبري، محمد بن جرير ت٣١٠هـ، جامع البيان

على النحو المتقدم، لكنَّه اختزل النصّ في تفسيره جامع البيان، فإنَّه بعد أنْ ذكره حرفياً متناً وسنداً غيَّر فيه عبارة واحدة فقال: (**فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي، وكذا وكذا**) إلى أنْ قال: (**ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي، وكذا وكذا**) فاستبدل كلمة: (**ووصيي وخليفتي فيكم**) بكلمة: وكذا.. وكذا)، وفيه دلالة على أنَّ الحذف والتبديل كان من عدم الالتزام بالأمانة العلمية أولاً فضلاً عن الأهداف السياسية القابعة خلفها ثانياً، إذ غَيّر الطبري كلامه من أجل التوهين بولاية الإمام عليٍّ عليه السَّلام وهي المسألة المهمّة التي وقع فيها الصراع الاجتماعي والسياسي بعد وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، بل وغيرت وجه التاريخ. فكان وجود الإمام عليٍّ عليه السَّلام وقول الرسول صلَّى الله عليه وآله بحقه سبباً في

عن تأويل آي القرآن، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ، ٩١ / ٢٢١.

استبدال الرواية وتحريف مضمونها.

والحال كذلك ينطبق على ابن كثير أيضاً، إذ سار على منوال الطبري لا سيما أنَّ ابن كثير كان ناقلاً لتاريخ الطبري بل العمود الفقري لكتاباته التاريخية وحتى تفسيره لكنَّه عندما يصل إلى هذه الرواية في كتابه تفسير ابن كثير يترك تاريخ الطبري ويستند على ما ورد في تفسيره جامع البيان، إذ ورد (**أمرني الله عزَّ وجلَّ أنْ أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي وكذا وكذا فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي وكذا وكذا فاسمعموا له وأطيعوا**)[1]، وبهذا سلك ابن كثير الطريق نفسه الذي سلكه - من قبل - سلفُه الطبري ضارباً عرض الجدار مبدأ أمانة النقل، ونحن لا نعذر ابن كثير في عمله هذا أبداً، لأنَّه قد اعتمد في رواياته التاريخية في تاريخه

(١): ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت٤٧٧ هـ، تفسير القرآن العظيم: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ، ٣/ ٢٥٣.

وتفسيره معاً تاريخ الطبري، لا تفسيره، ولا شك أنّه قد مرّ على هذه القصة في تاريخ الطبريّ، ولكنّه مع ذلك حاد عن الطريق السويّ فأعرض عن نقل رواية التاريخ في هذه الحادثة وعمد بصورة غير متوقعة إلى نقل رواية التفسير.

وليس هذا فقط بل جرى الخلف على خطى السلف ولكنْ بصورة أبشع وأشنع، فإنَّ محمّد حسين هيكل ذكر هذا الحديث أيضاً في كتابه حياة محمد (الطبعة الأولى) ص١٠٤ وفق نصّ الطبري في تاريخه، لكنّه في الطبعة الثانية لكتابه هذا نفسه، المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ. ذكر هذا الحديث عينه في ص١٣٩، إلّا أنَّه حذف كلمة: «**وخليفتي فيكم**» واقتصر على قوله: «**ويكون أخي ووصيي**». وذلك لقاء خمس مئة جنيه مصري، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه[1].

---

(١): يراجع الطبعة الأُولى حياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص١٠٤، وتُقارن بالطبعة الثانية ص١٣٩ لبيان التحريف

وواحدة من صور التلاعب التاريخي هو التشكيك في بعض الألفاظ الواردة في حديث الدار من قبيل التشكيك بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يقل (**من بعدي**) عندما ذكر (**خليفتي فيكم**) وقد كفانا مؤونة الردّ على هذا التشكيك أحد الباحثين بالقول: (والحقيقة أنَّنا لا نجد فرقاً بين التعبيرين وإذا كان (**خليفتي فيكم من بعدي**) صريحاً في الدلالة فإنَّ (**خليفتي فيكم**) كذلك أيضاً، لأنَّ معناه أنَّ علياً هو الذي يخلفني فيكم لو أصابني مكروه، وهذا نصّ على الخلافة بعد الموت، ويؤكد هذا المعنى ذكر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لكلمة (**وصي**)، والوصاية في الإسلام إنَّما يقصد بها ما بعد الموت، حيث يقوم الوصي بما طلب منه الموصي أنْ يقوم به، ولو كان الأمر يتعلق بما قبل الموت لقال، وكيلي ولم يقل وصيي؛

في نقله. ينظر: مغنية، محمد جواد، فلسفة التوحيد والنبوة، ط٤، دار الجواد، بيروت لبنان ١٩٨٤، ١٠٩.

لأنَّ الوكالة هي التعبير الإسلامي عمّن يطلب منه تنفيذ بعض الأعمال نيابة عن إنسان موجود على قيد الحياة)[١].

وبمتابعة الرواية نجد هنالك جملة من الهنّات التي لا يمكن القبول بها ومنها ورود عبارة (يا فاطمة بنت محمّد أنقذي نفسك من النار) والمقصود بها السيدة الزهراء عليها السلام بنت النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، ورواها البخاري بلفظ آخر جاء فيه **(قام رسول اللهَّ صلَّى الله عليه وآله حين أَنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهَّ شيئاً، يا بَنِي عبد مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهَّ شيئاً، يا عَبَّاسُ بن عبد الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ من اللهَّ شيئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رسول اللهَّ لَا أُغْنِي عَنْكِ من اللهَّ**

---

(١): الشيخ محمد حسن آل ياسين، الإمامة، ط٣، بغداد ١٩٨٧م، ٦٣.

شيئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ من مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ من اللهِ شيئاً)(١).

وربَّ قائل يقول: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله خصَّ بالكلام ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام؛ لأنَّها ابنته والأقرب إلى قلبه، فإذا أخبرها أنَّه لا يملك لها من الله شيئًا، فمن المؤكد أنَّ الأمر نفسه وأكثر سيكون مع الآخرين، ومن باب أولى مع كلِّ عشيرته، فهذا أبلغ في البيان، لكنَّ هذا الكلام من زج السيدة الزهراء عليها السلام في الحادثة لا يمكن أنْ يصمد أمام التحقيق التاريخي لأسباب منها:

أولاً: تشير الروايات إلى أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تكن مولودةً بعد لأنَّ حديث الإنذار في السنة الثالثة للبعثة والسيدة

(١): البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦ هـ، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧-١٩٨٧، ٣ /١٠١٢.

الزهراء عليها السلام ولدت في السنة الخامسة للبعثة على أقصى التقديرات، أي بعد سنتين من الحادثة إذ ورد (ولدت فاطمة عليها وعلى بعلها السلام بعد مبعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله بخمس سنين)[1].

ثانياً: طبقاً لسن السيدة الزهراء عليها السلام وهو سنتان فتكون فاطمة الزهراء عليها السلام غير مُكلّفة شرعاً بالتكاليف الشرعيّة، إذ لا تصح

---

(١): ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٩١؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري ت٤٦٣هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد بن علي البجاوي، ط١، دار النشر: دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ، ٤ / ١٨٩٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤ / ٩٥؛ المزي، جمال الدين أبو الحجاج ت٧٤٢هـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٥، ٣٥ / ٢٤٧؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط ٩، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣هـ، ٢ / ١١٩.

مخاطبتها يومذاك كسائر المكلفين، وهذا طعن بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله أيضاً، إذ كيف يأمر وينذر من لا يدخل في الإنذار والوعيد بعد؟ فالطعن يكمن في عدم علم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بسن التكليف، وحتى لو قبلنا رأي الآخرين والذين اختلفوا في سنة مولدها[1]، فيكون عمرها عام البعثة قبل سن البلوغ فتخرج عليها السلام من دائرة التكليف.

وبالسياق نفسه نجد ذكر شخصيات لم تخرج للدنيا بعد أو لم تُسلم بعد وذكرت وزُجّت في الرواية لا لغرض إلّا لإضفاء أسماء شخصيات لها ثقلها التاريخي لتعطي مصداقية أكثر وقبولاً

(١): ينظر، الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأُصول من الكافي، شرحه وصححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط٣، الناشر دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندي تهران ١٣٨٨هـ، ١ / ٤٥٧ ٤٥٨؛ الطبري محمد بن جرير كان حياً بعد سنة ٤١١ هـ، دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط١، قم ١٤١٣ م. ٢ / ٧٩.

أوسع للرواية، ومن هذه الشخصيات أبو هريرة، وعبد الله بن عباس، إذ ذكر (وقال ابن عَبَّاسٍ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ **جَعَلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يُنَادِي يا بَنِي فِهْرٍ يا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ وقال أبو هُرَيْرَةَ لَمَّا نَزَلَتْ** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ **قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ**)[1].

ويمكن مناقشة ذلك من عدّة وجوه

أولها: إنَّ ابن عباس لم يكن قد ولد بعد في هذه الحادثة حتى يمكن الاستدلال عليه في هذه القضية، إذ ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات[2] وحديث الدار في السنة الثالثة للبعثة، أي أنَّها وقعت قبل ولادته بسبع سنوات.

ثانيها: بخصوص أبي هريرة الوارد ذكره في

(١): البخاري، صحيح البخاري، ٣/ ١١٠١.

(٢): الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٣٣.

الرواية فإنَّه لم يُسلم إلَّا في السنة السابعة للهجرة[١] في المدينة المنورة، أي بعد سبعة عشر عاماً من الحادثة في مكة.

ثالثها: علّق عليه ابن حجر بالقول: (هذا من مراسيل الصحابة... لأنَّ أبا هريرة إنَّما أسلم بالمدينة وهذه القصة وقعت بمكة وابن عباس كان حينئذٍ إمّا لم يولد وإمّا طفلاً)[٢].

وأُنموذجٌ آخر للتلاعب التاريخي يمكن استشفافه من خلال ذكر نساء النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله في الحادثة وهنّ لم يتزوج بهنّ

(١): الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي ت٣٨٨هـ، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي دار النشر: جامعة أُمّ القرى- مكة المكرمة - ١٤٠٢، ٢ / ٤٨٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤ / ١٧٧١؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ت٦٣٠هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط١، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧هـ ١٩٩٦.

(٢): فتح الباري، ٨ / ٥٠٢.

الرسول صلَّى الله عليه وآله إلَّا في المدينة وحديث الدار كان في مكة، وإليك نصّ الرواية (**فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت ثمَّ اطلع عليهم...ثمَّ أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أُمّ سلمة، ويا فاطمة بنت محمّد، ويا أُمّ الزبير عمّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله اشتروا أنفسكم من الله واسعوا في فكاك رقابكم**)[١].

إذ من المعروف أنَّ النبيَّ محمّداً صلَّى الله عليه

---

(١): الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠هـ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م، ٨ / ٢٢٥؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر ت٨٠٧ هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار النشر: دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت- ١٤٠٧هـ، ٧ / ٨٦؛ ابن حجر، فتح الباري، ٨ / ٥٠٢؛ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن ت٩١١هـ، الدر المنثور: دار الفكر - بيروت- ١٩٩٣م، ٦ / ٣٢٧.

وآلـه لم يكـن قـد تـزوج حينئـذٍ إلَّا بخديجـة بنـت خويلـد. ولم تكـن أيٌّ مـن المذكـورات مـن زوجاتـه صلَّى الله عليه وآلـه ولم يبـن صلَّى الله عليـه وآلـه بـأيٍّ منهـنّ إلَّا في المدينـة، وحادثـة إنـذار العشـيرة كانت في مكـة لا في المدينـة كـما هـو معـروف، وهـذا مـا أكـده ابـن حجـر بالقـول: (ولم تكـن عائشـة، وحفصـة، وأُمُّ سـلمة، عنـده ومـن أزواجـه إلَّا بالمدينـة)[١]، ولم يكـن هنـاك تعـدد للقصـة حتـى يمكـن القـول إنَّ حادثـة الـدار قـد جـرت مرتـين الأُولى في مكـة والثانيـة في المدينة لأنَّ (الأصـل عـدم تكـرار النـزول)[٢]، ويبـدو أنَّ سـبب روايـة إنـذار العشـيرة بطـرق متعـددة وزجّ أسـماء كثـيرة غـير موجـودة أصـلاً، كان غرضهـا ومحورهـا إسـقاط اسـم علـيٍّ عليـه السَّـلام مـن شرف الأُخـوة والوصايـة والخلافـة بعـد رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، وهـذا يكفـي في الاسـتدلال

(١): فتح الباري، ٨/ ٢٠٥.

(٢): ابن حجر، المصدر نفسه، ٨/ ٢٠٥.

على أنَّ أمثال تلك الروايات كانت موضوعة للتقليل من دور الإمام عليٍّ عليه السَّلام في واقعة إنذار العشيرة.

ومن الأقاويل التي وضعت على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في الرواية قوله **(اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهِ شيئاً)**؛ إذ لا يتوافق هذا الكلام مع ما نصَّ عليه القرآن بحق الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1]، والرسول صلَّى الله عليه وآله نفسه يقول **(إِنَّهُ سَيُكْذَبُ عَلَيَّ كَمَا كُذِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي فَمَا جَاءَكُمْ عَنِّي مِنْ حَدِيثٍ وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ حَدِيثِي وَأَمَّا مَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ فَلَيْسَ مِنْ حَدِيثِي)**[2]، وهو ممّا لا يوافق ما جاء في القرآن.

---

(١): الضحى، الآية:٥.

(٢): المجلسي، محمد باقر ت ١١١١هـ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ، ٢ / ٢٢٧.

ثمَّ إنَّ هذا الكلام فيه نفيٌّ لشفاعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله يوم القيامة وفضله على أُمَّته، بل الأكثر من ذلك أنَّ ابن سعد روى أنَّ هذا الكلام في مرض وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله وليس في حادثة الإنذار للعشيرة، إذ ورد عن الرسول صلَّى الله عليه وآله قوله **(والله لا يمسك الناس عليَّ بشيء لا أحلّ إلَّا ما أحلّ الله عزَّ وجلَّ في كتابه ولا أحرم إلَّا ما حرم الله في كتابه ثمَّ قال: يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمّة رسول الله اعملا لما عند الله فإنِّي لا أُغني عنكما من الله شيئاً ثمَّ قام من مجلسه ذلك فما انتصف النهار حتى قبضه الله)**[1]، وبهذا يكون من حيث الزمان يناسب أنْ يكون في مرض وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله وفي المدينة، وليس في مكة وفي السنة الثالثة من بعثة الرسول صلَّى الله عليه وآله كما جاء في الأحاديث اللاتي درسناها قبل هذا.

(١): ابن سعد، الطبقات، ٢ / ٦١٢.

وجرى ابن تيمية على عادته في إنكار فضائل أمير المؤمنين عليه السَّلام في سعيه الحثيث للتبديل والتمويه لكلِّ ما يمتُّ للإمام عليٍّ عليه السَّلام بصلة، وبدراسة ما أبداه ابن تيمية في خصوص حديث الدار نجد ظاهرة العناد والجحود واضحة للعيان في كتاباته بهذا الشأن لا لشيء إلَّا لبغضه لأمير المؤمنين عليه السَّلام حتى لو كان كلامه يخالف العقل والمنطق، إذ ورد في معرض كلامه عن إجابة الإمام عليٍّ عليه السَّلام للرسول صلَّى الله عليه وآله بأنَّها غير كافية لأنْ تجعله ولياً، وإليك نصُّ كلامه (أنَّ قوله للجماعة من يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي، كلام مفترى على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لا يجوز نسبته إليه، فإنَّ مجرد الإجابة إلى الشهادتين والمعاونة على ذلك لا يوجب هذا كلَّه، فإنَّ جميع المؤمنين أجابوا إلى هاتين الكلمتين وأعانوه على

هذا الأمر وبذلوا أنفسهم وأموالهم في إقامته وطاعته وفارقوا أوطانهم وعادوا إخوانهم وصبروا على الشتات بعد الألفة وعلى الذلّ بعد العزّ وعلى الفقر بعد الغنى وعلى الشدّة بعد الرخاء، وسيرتهم معروفة مشهورة، ومع هذا فلم يكن أحد منهم بذلك خليفة له)[١].

في الإجابة عن إشكال ابن تيمية هذا يستوجب منا الالتفات إلى نقطة مهمة وهي مناقشة كلامه وفق المنهج العلمي غير المتعصب أو الذي يفرض قبليات إيديولوجية على النصّ دون مناقشتها أو تفكيك مضامينها، وجوابنا عن إشكاله بالآتي:

أولاً: إنَّ ابن تيمية نسي أو تناسى أنَّ مسألة تعيين الخليفة لا تخضع للأمزجة والأهواء أو خاضعة للارتباطات القبلية أو العاطفية بقدر ما

---

(١): ابن تيمية، أحمد عبد الحليم الحراني، ت٦٢٧هـ، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦هـ، ٧ / ٦٠٣.

هي خاضعة للتقرير السماوي بنظرية الجعل الإلهي بنص القرآن ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[(١)]، و ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[(٢)].

ثانياً: ما ورد في إطار الردِّ على هذا الإشكال يدحض تقولات ابن تيمية، إذ نقل (إنَّ قوله أي قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله هذا ليس علّة تامّة للخلافة، ولم يدِّع صلَّى الله عليه وآله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته. بل أمره الله بإنذار عشيرته، لأنَّهم أولى بالدفع عنه ونصره، فلم يجعل هذه المنزلة إلَّا لهم، وليعلم من أول الأمر أنَّ هذه المنزلة لعليٍّ، لأنَّ الله ورسوله يعلمان: أنَّه لا يجيب النبيَّ صلَّى الله عليه وآله ولا يؤازره غير عليٍّ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته بإقامة الحجة عليهم. ومع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول

---

(١): الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٢): ص، الآية: ٦٢.

صلَّى الله عليه وآله الأحق بها منهم)[١].

ثالثاً: تدل أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بهذا الخصوص على العلم المسبق بالنتيجة لكنَّ إطلاق هذا الكلام هو من باب التأكيد، إذ روي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث رسولاً إلَّا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من أهله، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء قبلي، وإنَّ الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل عليَّ** ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ **ورهطك المخلصين، وقد والله أنبأني به وسمّاه لي، ولكنْ أمرني أنْ أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي، فأيّكم يسبق إليها، على أنْ يؤاخيني في الله ويوازرني في الله عزَّ وجلَّ، ومع ذلك**

---

(١): المظفر، محمد حسن ت ١٣٨٣هـ، دلائل الصدق لنهج الحق، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دمشق ١٤٢٠هـ، ٦ / ٤٣.

يكون لي يداً على جميع من خالفني فأتخذه وصياً ووليا ًووزيراً، يؤدي عنّي، ويبلغ رسالتي، ويقضي ديني من بعدي وعداتي»(١)، إذ يدل هذا النص أنَّ النبيَّ محمداً صلَّى الله عليه وآله كان يعرف أنَّهم سوف لا يجيبونه، باستثناء عليٍّ عليه السَّلام، كما أنَّ ظاهر قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «**أيكم يؤازرني الخ..**» أنَّ الخطاب كان لواحد منهم على سبيل البدل، فالذي يجيب منهم أولاً يكون هو الوصي والولي. وتقارن إجابة اثنين أو أكثر بعيد الحصول. ولو أجابه أكثر من واحد، فإنَّه سوف يكل أمر التعيين إلى ما بعد ظهور المؤازرة، فمن كانت مؤازرته أتمّ وأعظم، وأوفق بمقاصد الشريعة، وظهر أنَّه الأقوى والأليق بالمقام، فإنَّه سيختاره دون غيره.

---

(١): ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر ت٦٦٤هـ، سعد السعود، ط١، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م، ١٠٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٨١/ ٢١٥ ٢١٦.

كذلك ليس المطلوب هو المؤازرة له في الجملة ليقال: إنَّ سائر المسلمين قد آزروه في الجملة، بل المراد المؤازرة التامّة في كلِّ موطن وموقف، والثبات في كلِّ الأحوال بغض النظر عن تبدل الظروف، ومصاديقها تتمثل بالنوم على فراش النبيِّ محمّدٍ صلَّى الله عليه وآله ليلة الهجرة والتضحية بالنفس، وقلع باب خيبر، وقتل صناديد العرب، وما إلى ذلك من مواقف مشرفة يسجلها التاريخ.. ولم يحصل ذلك إلَّا من أمير المؤمنين عليه السَّلام، وهذه الامتيازات للإمام عليٍّ عليه السَّلام هي التي جعلت من الآخرين يلفقون الأكاذيب وينمقون الأباطيل لصرف الأنظار عن مستحقها والأليق بها.

ومن صور التلاعب الأُخرى هو تعدد الألفاظ في الرواية من قبيل (**خليفتي في أهلي**) و(**خليفتي فيكم**) و (**خليفتي من بعدي**)، إذ إنَّ التعدد في الألفاظ كان الهدف منه التخفيف

من وقع الحدث الذي شغل حيزاً في الحقل التاريخي نظراً لأهميته، وتلافي قسط كبير من الإحراج بسببهِ نظراً لحساسيته، لكنَّ التأمل في هذه النصوص يعطينا تصوراً أنَّ هذا التصرف فيها ليس له تأثير في تحقيق الغرض الذي توخّوه منها، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قد ذكر وصفين هما الوصاية والخلافة ممّا يعني أنَّ المقصود بالخلافة معنى آخر غير معنى الوصاية، وأنَّ موارد أعمال الخلافة وتأثيرها العملي يختلف عن مورد الوصاية، فالخلافة والوصاية في الأهل إمَّا أنْ تكون لزوجات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله من بعده فلا يحتجن إلى وصي ولا إلى ولي يلي أمرهن، وإمَّا أنْ تكون لابنته الوحيدة السيدة الزهراء عليها السلام فقد كان للسيدة فاطمة عليها السلام حين وفاة أبيها زوج يقوم بشؤونها، ويهتم بأمرها، وهل يحتاج حفظ البنت وحفظ الزوجات إلى جمع العشيرة كلّها للنظر في ذلك؟

علماً أنَّ السيدة الزهراء عليها السلام لم تولد بعد على أغلب الروايات التي ذكرناها.

كما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يتزوج بالنساء بعد سوى السيدة الطاهرة خديجة عليها السلام، والمتعارف عليه لم يجر تقليد بين الناس بتنصيب ولي أو جعل وصيٍّ على البنت البالغة الرشيدة المتزوجة التي تمتلك قرارها بيدها، والأمر ينسحب بالنسبة للزوجات الكبيرات الراشدات، اللواتي لهنّ أهل، وعشائر، فالمقصود بالولاية في الأهل معنى الإمارة والسلطة عليهم، ويبدو أيضا أنَّ هنالك تلاعباً واستبدالاً للألفاظ لحاجة في النفس قضيت ومنها في عبارة (**خليفتي في أهلي**) إذ نعتقد أنَّ الأصل هو (**خليفتي من أهلي**) بدلالة ما تقدم من قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث رسولاً حتى جعل له وزيراً من أهله**»، تماماً كما قال موسى

عليه السَّلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾[١]، وهذا التعبير هو المناسب لأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله ذكر صراحةً قول **(وزيراً من أهله)** ولم يقل: **(وزيراً في أهله)**.

ثمَّ إنَّ كلام الرسول صلَّى الله عليه وآله لا يمكن أنْ يخرج من دائرة القرآن ومخالفة مضامينه وما ورد فيه، وفيه أيضاً دلالة تأكيدية على إلهية التعيين والجعل لمنصب الخليفة من بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بقوله: «**حتى جعل له وزيراً**» كما ذكرنا ذلك سابقاً، فالأصح **(من أهلي)** وليس **(في أهلي)**.

أمّا عبارة خليفتي فيكم بمعنى خليفتي بالعشيرة، فالأهل معناها (الأقارب والعشيرة والزوجة)[٢]، أمّا خليفتي من بعدي فتعني من

(١): طه، الآية: ٩٢.

(٢): إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة، ١ / ١٣.

بعد وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله لا في حياته أولاً، كما أنَّ مفهوم الخلافة يكاد أنْ يُجمع على أنَّه لا وجود لنوعين من الخلافة الخاصة على بعض والعامّة على الكلّ، بل إنَّ خلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة وفق المنظور الواقعي، فيدلنا ذلك على أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قد أراد جعل الخليفة للناس كلِّهم من بعده، ويقوم مقامه ويسير بسيرته في مناحي الحياة كلِّها ثانياً.

ثالثاً: أسباب دعوة الأقربين

تُحقّل هذه الفقرة من البحث ضمن الاستنتاجات الفكرية للباحث من خلال منهج تفكيك النصوص وقراءة ما وراء القصديّة لهذه الدعوة واختصاصها بالأقربين دون غيرهم، ويمكن لنا أنْ نُبرّز هذه الأسباب على شكل نقاط ليكون استيضاحها للمتلقي سهلاً، والوصول إلى الغرض أيسراً، ومن هذه الأسباب:

أولاً: إنَّ الإصلاح يجب أنْ يبدأ من الداخل،

لأنَّـه إذا استطاع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله استقطاب عشيرته الأقربين استطاع تثبيت أولى الدعائم للدعوة ونشر الرسالة الإسلامية، فيتمكن بعد ذلك من التوجه إلى غيرهم بقدم ثابتة وعزم راسخ وإرادة مطمئنة، وربَّما تصبح دعوته بعد ذلك أنفع وأسرع إلى التصديق بها وأكثر تأثيراً في القلوب والنفوس.

ثانياً: إنَّ فائدة دعوة العشيرة أولاً كانت على الأقل دفع أبناء عشيرته إلى الدفاع عنه بدافع القرابة، على فرض أنَّهم لم يؤمنوا برسالته ولم يقبلوا بدعوته، ولا يُفسّر ذلك بالمنطق القبلي بقدر ما هو تخطيط استراتيجي للقادة الأفذاذ في تحقيق أغراضهم، لا سيما وأنَّ الغرض والهدف إلهي صرف لا دخل للجانب الدنيوي فيه، وسيكون تحقيق الهدف أقرب وأيسر لأنَّه بذلك سيكون في حماية قبيلة تُدافع عنه، وتتبنَّى قضيته، وكثيرًا ما يكون ذلك واقعًا على الرغم من رفض القبيلة

اعتناق ما يدعو إليه الداعية، ومع هذا فإنَّ هذه الحماية تُعطي له قوَّة كبيرة؛ خاصة إذا كان ينتمي إلى عائلة كبيرة وشريفة، فما بالنا لو آمنت هذه العائلة بما يقول، فإنَّها عندئذٍ تُصبح عضدًا قويًّا له في دعوته.

ولنا في ذلك نماذج قرآنية كان للعشيرة أثرٌ في دعوة الأنبياء فهذا النبيُّ لوط عليه السَّلام حينما جاءه قومه يُراودونه عن ضيفه، فردَّ عليهم متأسفًا ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1]، وعلى النقيض من هذا كان موقف شعيب عليه السَّلام، وذلك حين جاء إليه قومه يعترضون عليه فقالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾[2]، فكانت قوَّة قبيلته سببًا في حمايته، والدفاع عنه على الرغم من قولهم واعترافهم بضعفه فيهم.

---

(١): هود، الآية: ٨٠.

(٢): هود، الآية: ١٩.

كما أنَّ بدعوته لعشيرته يستطيع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أنْ يكتشف ويعرف مدى الدعم الذي سوف يلاقيه فيما يدعو إليه، ومدى استعداد البنية الداخلية من أقربائه للتحمل معه والوقوف إلى جانبه، وبذلك يستطيع أنْ يقدّر مواقفه ويقدم أو يحجم على فعلٍ ما على أساس من ذلك تمنحه الفرصة لاكتشاف مواضع القوة والضعف في البُنية الداخلية التأسيسية ،ورصد مواضع القوة التي يستند عليها ومواقع الضعف التي يجب عليه أنْ يتجنبها...

ثالثاً: لأنَّ الأمر إلهي لرسوله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فلا يمكن بأيِّ حال من الأحوال أنْ يخالف نبيٌّ ما أوامر ربَّه إطلاقاً، فدعوة العشيرة الأقربين هو تنفيذ لأمر إلهي.

رابعاً: خصَّ عشيرته الأقربين بالإنذار لتنحسم أطماع سائر عشيرته وأطماع الأجانب في مفارقته

إياهم على الشرك[١].

خامساً: خصَّ الأقربين لأنَّ الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم[٢]، ولأنَّها حقٌّ من حقوق الأقربين إذ إنَّ من أعظم صلات الأقربين بيان الخير لهم، ودعوتهم إليه، وتحذيرهم من الشر، ومنعهم من الوقوع فيه، بل الدعوة للأقربين منهج للأنبياء السابقين، عاشوا همّها، ومارسوا وسائلها، إذ إنَّ اللوم يقع على الداعية إذا انشغل بهداية الآخرين وأهمل الأقربين، فالانشغال غير مبرر، والاعتذار بالتقصير لا يكفي، بل لابد من خطوات عملية تؤكد العناية بدعوة العشيرة والأقربين وتستجيب لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

---

(١): القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر ت١٧٦هـ، الجامع لأحكام القرآن، دار النشر: دار الشعب – القاهرة، د. ت ، ٣١ / ٣٤١.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٤ / ١١ ٩١١ ٠٢١.

وَالْحِجَارَةُ﴾[١]، ومِمّا يُعاب على الداعية أنْ يتحدث بالأمر من أُمور الخير، وتكون عشيرته الأقربون أحوج الناس إليه، وأقل تطبيقاً له، أو يحذر عن شرٍّ قد تكون عائلته أكثر وقوعاً فيه، وكم رزئ الدعاة بأبناء، أو بنات، أو إخوة وأخوات، أو أهل لم يكونوا بمستوى التزام الآخرين، الأمر الذي سيُصعّب عليه الأمر جداً في طريق الدعوة، فضلاً عن أنْ يكونوا بمستوى ما يريده الدعاة للناس من حولهم، ولك في قصص الأنبياء نوح عليه السَّلام ولوط عليه السَّلام في القرآن الكريم خير دليل على ذلك.

سادساً: وذكر ابن حجر أنَّ (السرَّ في الأمر بإنذار الأقربين أولاً أنَّ الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم وإلّا فكانوا علّة للأبعدين في الامتناع وأنْ لا يأخذه ما يأخذ القريب

(١): التحريم، الآية: ٥.

للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف فلذلك نصَّ له على إنذارهم)[١]، ولعلَّ هذا الأمر انتبه له أغلب مشركي قريش من أقرباء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله فانبروا مسرعين إلى نكران الدعوة ورفضها منذ البداية لكي لا يكون عاملاً مساعداً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله في تحقيق دعوته، حيث إنَّ تكذيب عشيرته له قد يردُّ الناس عن الإسلام بدعوى أنَّ أهله أعلمُ به؛ لأنَّهم لو كانوا يكذبونه- وهم القريبون منه، العارفون بحاله- فتكذيب الغرباء أوقع.

سابعاً: وهناك سبب مهم في دعوة الأقربين وهو إزالة التصورات المغلوطة عند البعض في المحاباة للأقارب واستثنائهم من العقاب بدعوى القرابة من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، إذ دعاهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أولاً لئلا يسبق إلى أذهانهم أنَّ ما يلقيه الرسول صلَّى الله عليه

(١): فتح الباري، ٨/ ٣٠٥.

وآله من الغلظة في الإنذار وأهوال الوعيد لا يقع عليهم؛ لأنَّهم قرابة هذا المنذر وخاصته، فلا يحسبوا أنَّهم ناجون في الحالتين بإنذار أو بدونه، بمعنى آخر أنَّ النجاة في اتباع شرعه دون قرابته، وهذا ما بيّنه أحد الباحثين في سبب دعوة الأقربين قائلاً: (ليكونوا قدوة لغيرهم، وليعلموا أنَّ قرابتهم للرسول صلَّى الله عليه وآله لن تنجيهم من عذاب الله، ما استمروا على شركهم)[١].

ثامناً: ولعلَّ من الأسباب التي تكون خافية على البعض أنَّه قد يوجد في العائلة شيخ كبير له مكانته، أو طالب علم له أثره، أو داعية له حضوره في المجتمع، وقد لا تحس لهذا، أو ذاك أثراً في عشيرتهم، ولا تسمع لهم ركزاً في الأقربين منهم، لا سيما وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله

---

(١): طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ١٩٩٨، ١٠ / ٢٨٦.

يبحث في بداية دعوته عن كلِّ الأسباب التي تمدُّ دعوته بالانتشار.

تاسعاً: لغة الخطاب في دعوة الأقربين تكون أقرب للنفوس، وأدعى للاستجابة، إذ إنَّ المتحدث يتحدث فيه عن قرب يعرف نفسيات المخاطبين وأحوالهم غالباً- وبذلك يحدثهم بما يعرف ويعرفون، ويركز على ما يحتاجون، وما هم عنه غافلون، ومن جانب المستمعين تمثل القرابة فيه عنصراً من عناصر القبول فالمتحدث منهم وهم منه، وفي النفوس -بشكل عام- ميل لأعضائها، لا سيما وأنَّ هناك حبًّا فطريًّا لشخص الداعية من الأقربين ليس بالمطلق الأعم لكن الأغلب، وبهذا فإنَّ الأقربين سيكونون أقرب إلى الإجابة؛ فالقريب ليس بينه وبين الداعية حواجز قَبَلية، أو عنصرية، أو غير ذلك من الحواجز كما أراد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أنْ يظهر للناس كلِّ الناس بالقول والفعل: أنَّه صلَّى الله عليه وآله

يريد هذا الخير لأهله، ولعشيرته الأقربين.

عاشراً: الاجتماع بالأقربين يكون سهل الكُلفة لأنَّ اجتماع الأُسرة يكون أمراً طبيعياً غير مُكلف من نواحٍ عدّة، إذ لا يحتاج إلى ترتيبات مُعقّدة، كما أنَّ فيها فرصةً لحضور الكبير والصغير، والذكر والأُنثى، والغني والفقير، والمثقف والعامي كلّهم يجتمعون تحت مظلّة الأُسرة وفي ذلك فرصة للدعوة في هذه الأوساط كلِّها، لأنَّ الدعوة فيها عامّة ومتنوعة.

حادي عشر: إنَّ القادة الأفذاذ أصحاب النظر الثاقب والعقل المتوقد عندما يرسمون برنامجهم فإنَّهم يرسمونه باستراتيجية دقيقة وتخطيط مُتقن، ويحسبون لكلِّ خطوة آثارها وتداعياتها على المستوى الآني أو المستقبلي، فعندما يشرع العقلاء من الناس من أصحاب البرامج الواسعة والمشاريع الكبرى أعمالهم الكبرى - عادة - من بدايات صغيرة ونقاط محددة، فإذا حقّقوا نجاحاً

في هذه البدايات بادروا إلى توسيع نطاق نشاطهم فوراً، وهكذا جنباً إلى جنب مع النجاحات التي يحقّقونها في كلِّ خطوة يوسّعون دائرة العمل، ويجتهدون في تحقيق المزيد من النجاح، والتكامل لما هم بصدده.

وبإزاء ذلك بدأ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بكسر جدار الصمت بدعوة أقربائه إلى دينه كخطوة تتلوها خطوات أوسع، ثمَّ شرع بعد ذلك بدعوة الناس أجمعين، وهذا ديدن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لمن يدرس سيرته العطرة، إذ كان يعلم أنَّ الأُمور إذا قُدمت دفعة واحدة فمستوى نجاحها نادر إنْ لم يكن معدوماً، فالسير بالدعوة على شكل جرعات ومراحل هو أكثر استساغة وقبولاً، وهذا أحد أسباب انتشار الدعوة الإسلامية فيما بعد.

ثاني عشر: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يعتقد أنَّ أيَّ إصلاح وتغيير لا بد أنْ يبدأ من

إصلاح الداخل وتغييره، فما لم يستطع الإنسان من إصلاح أبنائه وأقربائه وردعهم عن قبائح الأفعال لا يمكن لدعوته أبداً أنْ تؤثر في الأجانب والأبعدين، لأنّ المناوئين سيعترضون عليه لدعوته في هذه الحالة، ويشيرون إلى أفعال أبنائه وعشيرته، عندها سيُشكّل هذا الأمر جانباً تعطيلياً لمسيرة الدعوة.

رابعاً: دلالات مهمّة في حديث الدار

لا شك للمتفحص بوعي في جزئيات رواية الإنذار يستنبط منها وفيها دلالات ذات أهمية لا يمكن تغافلها، أو معالجتها بنحو من السطحية بحيث لا يعطيها نصيباً متكافئاً مع أهميتها، ولعلَّ أول هذه الدلالات هي مسألة تعيين الخليفة والولي منذ بداية الدعوة الإسلامية وفي ذلك إشارات يمكن أنْ ننتبه لها منها:

أولاً: أهمية وضرورة مسألة الإمامة والخلافة وتعيينها منذ بداية المشروع الإسلامي، وفي هذا ردٌّ

صريح على كلِّ من يتبجح بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله مات ولم يوصِ لأحد من بعده فإنَّه يطعن بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله ويتهمه بعدم حرصه وخوفه على أُمَّته، بل إنَّ المنطق والعقل يوجبان للشخص العادي أنْ يوصي بمن يخلفه ويدبر أُمور أهله وعشيرته فكيف بشخص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله الذي يمثل القيّم على الدين الإسلامي والمُكلّف بتطبيق تشريعاته.

لذا فإنَّ ما قام به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يعدّ بمنزلة أول إعلان لرسول الله صلَّى الله عليه وآله بخلافة عليٍّ عليه السَّلام من بعده، منذ تلك المرحلة التي كانت الدعوة فيها في بداياتها. والإعلان عن خلافة عليٍّ عليه السَّلام في مطلع الدعوة للرسالة الإسلامية وبداية أمر النبوّة يفيد أنَّ هذين المنصبين ليسا بأمرين منفصلين ففي اليوم الذي يعلن فيه الرسول صلَّى الله عليه وآله عن رسالته ونبوته يعين وصيته وخليفته. ممّا

يعني أنَّ النبوة والإمامة تشكلان قاعدة واحدة، وأنَّ هذين الموقعين ليسا إلَّا حلقتين متصلتين لا يفصل بينهما شيء، وأنَّ الإمامة هي امتداد واستمرار لخط النبوّة والرسالة، إذ بدأ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله دعوته بتعيين الخليفة من بعده وختم حياته الشريفة بالتأكيد على تعيين الشخص نفسه من خلال واقعة الغدير وطلب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله لكتابة الكتاب أثناء مرضه الذي توفي منه وإنْ مُنع من ذلك لكنَّه أشار إلى أهمية الأمر وحساسيته.

وفي هذا الصدد أشار أحد الباحثين إلى عمق القضية وأهميتها إذ قال: (ومن حقنا أنْ نتساءل فنقول: لماذا منح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله علياً عليه السَّلام هذه الصفات الثلاث ويعني أخي ووصيي وخليفتي؟ ولماذا اختار لذلك أوّل اجتماع يُعقد بعد البعثة؟ وإذا كانت المؤازرة ضرورية له لأنَّه بحاجة فعلاً إلى الظهير والوزير فلماذا أضاف

إليهـا الوصايـة والخلافـة بلفظيهـما هذيـن؟ ومـا علاقـة الوصايـة والخلافـة بإنـذار عشـيرته ودعـوة بنـي قومـه إلى الإسـلام؟).

ولتوضيـح الإجابـة عـن هـذه التسـاؤلات يجـب أنْ لا ننسـى: أنَّ النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه في خطابـه هـذا يعلـن لأوّل مـرّة بدايـة دولـة جديـدة وعهـد جديـد ومجتمـع جديـد، وأنَّ كلَّ كيـان يُـراد لـه البقاء والـدوام لا بُـدَّ لـه في وجـوده واسـتمراره مـن رئيـس أعلى يقـود الأُمَّة ويوجـه الدفّة، ولابـدَّ من نائـب لـه يلجـأ النـاس إليـه إنْ ألمّـت بالرئيـس ملمّـة، والنبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه في هـذا الموقـف كان يهـدف إلى إفهـام هـؤلاء الحُضّـار أنَّ المسـألة بدينهـا ودنياهـا ليسـت مسـألة زعامـة يتفيـأ ظلالهـا أو رئاسـة يتمتـع بهـا مـا دام حيّـاً، وإنَّـما هـي رسـالة سـماوية خالـدة لـن تمـوت بموتـه ولـن تنتهـي بنهايـة عمـره، بـل سـتبقى بقـاء السـموات والأرض، وسـيكون لهـا مـن بعـده مـن يضطلـع بمهماتهـا ويقـوم بأمرهـا،

وهو هذا الفتى الذي يعلن استعداده للتضحية والفداء والمؤازرة، ونعني به عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام)[١].

ثانياً: إلقاء الحجة وإلزام الآخرين باتّباع الإمام عليٍّ عليه السَّلام خليفة من بعد الرسول صلَّى الله عليه وآله منذ ذلك الوقت، ليتبيّن لنا أنَّ ما صدر بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله هو الانقلاب على النصِّ بعينه، لا سيما وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يترك لفظة إلَّا وقالها من قبيل (الأخ الوصي الولي الوزير الخليفة) لغلق جميع المنافذ التي من الممكن أنْ تُستغل من الآخرين كمدخل لإزاحة الإمام عليٍّ عليه السَّلام من الخلافة، فكلُّ الإشارات والدلائل تُشير إلى أحقيّة الإمام عليٍّ عليه السَّلام بخلافة الرسول صلَّى الله عليه وآله من بعده.

ثالثاً: بيّنت هذه الحادثة أنَّ المعايير التي يريدها الله عزَّ وجلَّ في شخص الخليفة لا تستند أو تتكئ

(١): الشيخ محمد حسن آل ياسين، الإمامة، ٥٣ ٦٣ .

على جانب العمر والسن الكبير، بل كان معيار الكفاءة والإيمان والالتزام بالثوابت الدينية هي المقاييس لتعيين واختيار الخليفة، وهذا ما وجدناه في هذه الحادثة، إذ مع وجود والد الإمام عليٍّ عليه السَّلام أبي طالب عليه السَّلام وعمّه حمزة عليه السَّلام والآخرين وإخوته الذين يكبرونه، لكنَّ الاختيار الإلهي كانت بوصلته تتجه بإتجاه معايير إلهية معينة تمثلت وتجسدت في شخص أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، إذ لا مانع من حداثة السن مع وجود الشرائط الموجبة لتولي الخلافة، ويشكّل هذا الأمر أيضاً تأسيساً للمستقبل لما جرى على أئمة أهل البيت عليهم السلام في توليهم للإمامة وهم حديثو السن مثل الإمام الجواد عليه السَّلام والإمام الحجة عليه السَّلام، صحيح أنَّ علياً عليه السَّلام كان في ذلك اليوم أصغر الحاضرين سنّاً إلَّا أنَّ معاشرته الطويلة للنبيِّ قد هيّأت قلبهُ لتقبُّل الحقائق التي

تـردّد شـيوخ القـوم في قبولهـا، بـل عجـزوا عـن إدركها وفهمها ولنا في كلام أبي جعفر الإسكافي(١) خير دليل على ذلك إذ ورد (فهل يُكلّف عمل الطعام ودعاء القوم صغير مميز وغر غير عاقل؟ وهل يؤتمن على سرّ النبوّة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع؟ وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلَّا عاقل لبيب؟ وهل يضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله يده في يده، ويعطيه صفقة يمينه، بالأُخوّة والوصية والخلافة؟ إلَّا وهو أهل لذلك، بالغ حدَّ التكليف، محتمل لولاية الله عزَّ وجلَّ وعداوة أعدائه وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه، ولم يلصق بأشكاله، ولم يرّ مع الصبيان في

---

(١): هو محمد بن عبد الله أبو جعفر المعروف بالإسكافي أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين له تصانيف معروفة وكان الحسين بن عليّ الكرابيسي يتكلم معه ويناظره مات في سنة أربعين ومائتين. ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر محمد بن علي بن ثابت، ت ٣٦٤ هـ، تاريخ بغداد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت، ٥ / ٦١٤.

ملاعبهم بعد إسلامه، وهو كأحدهم في طبقته، كبعضهم في معرفته. وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟ فيقال دعاه داعي الصبا وخاطر من خواطر الدنيا، وحملته الغرّة والحداثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلّا ماضياً على إسلامه، مصمماً في أمره، محققاً لقوله بفعله، قد صدق إسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله صلَّى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته)[(١)].

ولنا أنْ نضيف من الدلالات المهمّة في هذا الإطار الشجاعة الروحية التي كان يتحلّى بها الإمام أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام، حيث قام في مجلسٍ أحجم فيه الشيوخ

---

(١): ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت٦٥٦هـ، شرح نهج البلاغة للإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧م، ٣١ / ٤٤٢ ٥٤٢.

الدُهاة والسادة المجرّبون عن قبول دعوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله خوفاً وتهيّباً وأعلن بكلِّ شجاعة مؤازرته للنبيِّ، واستعداده للتضحية في سبيل دينه ورسالته هو آنذاك غلامٌ في ربيعه الثالث أو الخامس عشر، وما حابى أعداء الرسالة، وهذا يدلُّ على شجاعته فضلاً عن إيمانه الواقعي والعميق بصدقيّة الدعوة الإسلامية ووثوقه التام بشخص النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله.

كما أنَّ طلب النبيِّ محمّدٍ صلَّى الله عليه وآله من الإمام عليٍّ عليه السَّلام عمل الطعام وضيافته للأقربين من عشيرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله يكشف لنا عن وجاهة اجتماعية للإمام عليٍّ عليه السَّلام منذ صغره وإلَّا هناك من هو أكبر منه سناً مع وجود آخرين أكثر وجاهة سلطة وشهرة وتأثيراً في المدعوين من عليٍّ عليه السَّلام، مثل أبي طالب وجعفر وغيرهما، وإنْ كان عليٌّ آنذاك صغير السن، إلَّا أنَّه كان في الواقع كبيراً

في عقلـه ووعيـه، وفي فضائلـه وخصائصـه، لا سيما وأنَّ المجتمـع في ذلـك الوقـت كان يُعـير أهميـة كبـيرة للسـن والوجاهـة بدلالـة أنَّ النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه عندمـا عـيّن الإمـام عليّاً عليـه السَّـلام خليفـة ووليـاً مـن بعـده ضحـك القـوم وقالـوا لأبي طالـب عليـه السَّـلام (قـد أمـرك أنْ تسـمع لابنـك وتطيـع) لأنَّ مسـألة الصغـر والكـبر تُعـدَّ مسـألة داخلـة ضمـن نطـاق مـا جُبلـت عليـه منظومتهـم التعامليّـة في تقديـم الأَسـن والأغنـى بدلالـة مـا جـاء في القـرآن الكريـم مُصـوراً لنـا معيـار التعامـل وأُسـس التفاضـل عندهـم لاعتـلاء المكانـة وتبـوّء المنصـب القائـم عـلى البُعـد المـادي غـير مكترثـين للخصائـص النفسـية والفضائـل والكـمالات الروحيـة، إذ ذكـرت الآيـة قولهـم التعجبـي مـن عـدم نـزول القـرآن عـلى الشـخصيات الكبـيرة عمـراً والوجيهـة اجتماعيـاً والغنيـة اقتصاديـاً: ﴿ وَقَالُـوا لَـوْلَا نُـزِّلَ هَـذَا الْقُرْءانُ عَلَـى رَجُـلٍ مِـنَ

الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١].

بل الأمر ينسحب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله نفسه من حيث إنَّ الدعوة إلى الطعام بهذا الشكل فيه خروج عن العرف العشائري الذي كان يقرر بأنَّ زعيم العشيرة هو الذي يكون صاحب الدعوة إلى مناسبة كتلك، لكنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله بثقته بنفسه وبدعوته فضلاً عن مسؤوليته عن الدعوة وإبلاغها كان تصديه لهذا الأمر واجباً حتى وإنْ كلفه الكثير، وهنا كسر الإسلام بشخص رسول الله صلَّى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السَّلام أوّل حواجز العشيرة في العصر الجاهلي، ألا وهو حاجز الطاعة العمياء لسلطة العشيرة. فأصبح عليٌّ عليه السَّلام منذ ذلك اليوم، سيد القوم بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وهو لا يزال أحدثهم سنّاً، ومنذ ذلك اليوم، أصبحت الطاعة للدين ومن يمثله لا

---

(١): الزخرف، الآية: ١٣.

لسادة العشيرة ولا لزعمائها، وهذا المعنى وضع فكرة العشيرة في الموضع الصحيح، فرابطة الدم والرحم لا غبار عليها، بل إنَّ الدين يؤكدها ويشدد على اخلاقيتها، ولكنْ لا طاعة ينبغي أنْ تكون لمن له الشرف والرفعة والمنزلة في الدين، فلا أثر ديني لزعيم العشيرة إذا كان بعيداً عن الدين.

وهناك نقطة مهمة نقف عندها تدل على حسن التعامل النبويّ وكيفية التهيئة والتحضير للأجواء لتقبل كلامه من المدعوين، ونستشف ذلك من خلال دعوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لهم على الطعام ثمَّ البدء بالحوار والتداول، إذ إنَّ الدعوة على الطعام ممّا تُرَقِّق القلوب، وتبعث على المودَّة والألفة، وتُرسل رسائل إيجابية للحضور بودّ ومحبة الداعي وإرادة الخير لهم.

وعندما اعترض أبو لهب على الرسول صلَّى الله عليه وآله وما عرضه عليهم من الدعوة في

بادئ الأمر سكت الرسول صلَّى الله عليه وآله، ولم يتحدَّث في أمر الإسلام، ولم يدعُ الناس، ولم يدخل في جدل مع أبي لهب؛ حيث إنَّ الظرف صار غيرَ مُواتٍ؛ فالجوُّ مشحون، والخلاف قريب، وليس من الحكمة تبليغ الدعوة في مثل هذه الأحوال، خاصة أنَّ أبا لهب هذا هو عمّه، وله -أيضًا- أتباع وأنصار. إذن فليجمع الرسول صلَّى الله عليه وآله الناس في موعد آخر، يُبادر هو فيه بالكلام، إذ إنَّ الظروف الموضوعية لم تكن مُهيأة نتيجة اعتراض أبي لهب وقطعه لكلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله.

في قبال ذلك نستشف دلالة أكثر أهمية وهي تكرار الدعوة للطعام من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ممّا يُعطي درساً تربوياً لنا في عدم اليأس والصبر وأنْ لا تكون مفردة الفشل مُثبّطة للعزيمة في أول محاولة بل لابد للإصرار والإرادة أنْ تكون هي المحور الرئيس في الإطار التفاوضي في مجالات

كهذه وخصوصاً المُعقدة منها وبالأخص إذا كانت في ذات الله عزَّ وجلَّ.

من الدلالات التي نُسجلها أيضاً في هذه الحادثة ونستلهم الدروس والعبر منها هي مسألة عدم التأني في إنجاز البرامج والمشاريع ذات النفع العام والمرتبطة بالله عزَّ وجلَّ بدليل أنَّ الكلمة التي وردت في المصادر و ذكرناها في بداية البحث **(لّما نزلت** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ **دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب)** تشير إلى المباشرة الفورية للنبيِّ بدعوتهم إذ إنَّ قراءة النصّ وبالأخص كلمات **(لّما نزلت)** و**(دعا)** تفيد عدم التأخر في الدعوة والقيام بالأمر الإلهي.

ولنا أنْ نسأل سؤالاً يمكن توظيفه في الإطار الدلالي لأهمية الحادثة ألا وهو لماذا كرر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله الدعوة والإنذار عليهم وعدم القبول بالموافقة على ما صدر من تأييد الإمام عليٍّ عليه السَّلام من البداية وإنهاء الأمر؟.

إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله نظر للأمر بنظرة ثاقبة قائمة على غلق منافذ التبجح والتقوّل فيما بعد، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لو أنهى الأمر منذ البداية بإعلان الإمام عليٍّ عليه السَّلام خليفته ووصيه من بعده نتيجة قبوله بما دعا إليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله لتقوّلت قريش وقالت بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يفسح لنا المجال أو يتيح لنا الوقت الكافي فأعلن ذلك لعليٍّ عليه السَّلام، لكنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله كرر عليهم الأمر ثلاث مرات لإلقاء الحجة من جهة، وتثبيتاً لخلافة الإمام عليٍّ عليه السَّلام كونه قد أجابه بالدعوات الثلاث دونهم من جهة أُخرى.

كما يمكن أنْ يضاف سببٌ آخر وهو لأنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام مؤمنٌ بالفعل، فأراد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله مؤمنين جدد، ثمَّ لعلَّه خشي أنْ يستصغره القوم، فيتكبَّروا على الدخول في دعوةٍ

أتباعها أحداث بالسن وهذا ما بيّناه عن التزامهم بمعيار السن والغنى، إلَّا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله بعد ذلك ضرب على يده موافقًا على بيعته عندما تكاسل الناس عن البيعة، إذ ورد: «**فأيكم يبايعني على أنْ يكون أخي وصاحبي ووارثي، فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم فقال: اجلس، ثمَّ قال ثلاث مرات كلّ ذلك أقوم إليه فيقول اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي، ثم قال: أنت أخي وصاحبي ووارثي ووزيري**»(١). ولا يمكن أنْ نُفسّر الوراثة المذكورة في الرواية بوراثة المال، لأنَّ الدلائل تُشير إلى أنَّ أعمام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والإمام عليٍّ عليه السَّلام أغنى منهما، بل يشكّلون العصب

(١): النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب الشافعي ت ٣٠٣ هـ، السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١١٤١ هـ - ١٩٩١م، ٥ / ٥٢١.

الاقتصادي المُسيطر والمحرك للمجتمع المكي، ولا حاجة لهم بوراثة المال حتى يخاطبهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بذلك، بل كان المقصود من الوراثة هي الخلافة من بعده.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- إبراهيم مصطفى وآخرون

المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة، (د. ت).

٢- ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشيباني ت٦٣٠هـ- ١٢٣٢م

أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط١، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦.

٣- ابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمّد ت ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤ـ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ت ١٢٧٠هـ ـ ١٨٥٤م

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (د. ت).

٥ـ البحراني، هاشم بن سليمان ت ١١٠٧ هـ ـ ١٦٩٦م

البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط٢، منشورات دار الأعلمي، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٦ـ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦ هـ ـ ٨٦٩ م

صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة –

بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

٧ـ البلاذري، أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ ـ ٨٩٢ م

أنساب الأشراف، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف ـ مصر (د. ت).

٨ـ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم الحراني ت٧٢٦هـ - ١٣٢٨م

منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦هـ.

٩ـ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي ت ٨٦٤هـ ـ ١٤٥٩م، السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن ت٩١١هـ ـ ١٥٠٥م

تفسير الجلالين، ط١، دار النشر: دار الحديث - القاهرة (د. ت).

١٠ـ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ت٥٩٧هـ ـ ١٢٠٠م

المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، ط١، دار النشر: دار صادر - بيروت - ١٣٥٨ هـ.

١١- الجوهري، إسماعيل بن حماد ت٣٩٣ هـ-١٠٠٢م

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٢ - ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ-١٤٤٨ م

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، (د. ت).

١٣- ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت٦٥٦هـ-١٢٥٨ م

شرح نهج البلاغة للإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧م.

١٤ - الحلبي، علي بن برهان الدين ت١٠٤٤

هـ - ١٦٣٤ م

السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٠ هـ.

١٥ - الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي ت١١١٢هـ - ١٦٩٨ م

تفسير نور الثقلين، صححه وعلق عليه وأشرف على طبعه الحاج السيد هاشم الرسولي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم - ايران (د. ت).

١٦ - الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي ت٣٨٨هـ - ٩٨٨م

غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي دار النشر: جامعة أُمّ القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٢.

١٧ - الخطيب البغدادي، أبو بكر محمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م

تاريخ بغداد، دار النشر: دار الكتب العلمية -

بيروت، (د. ت).

١٨ ـ الذهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨ م

سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط ٩، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣هـ .

١٩ ـ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد ت ٥٠٢ هـ ـ ١١٠٩ م

المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني دار النشر: دار المعرفة – لبنان (د. ت).

٢٠ـ الزيدي، مثنى علوان

الإنذار الإلهي في القرآن الكريم من خلال بعض آياته ((دراسة موضوعية))، دمشق ـ سوريا، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢١ ـ ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع ت٢٣٠هـ ـ ٨٤٤ م

الطبقات الكبرى، دار النشر: دار صادر ـ

بـيروت (د. ت).

٢٢ ـ أبـو السـعود، محمـد بـن محمـد العـمادي ت٩٨٢هـ ـ ١٥٧٤م

إرشـاد العقـل السـليم إلى مزايـا القـرآن الكريـم، دار النـشر: دار إحيـاء الـتراث العـربي – بـيروت.

٢٣ ـ السـيوطي، جـلال الديـن بـن عبـد الرحمـن ت٩١١هـ ـ ١٥٠٥م

الـدر المنثـور، دار النـشر: دار الفكـر – بيروت – ١٩٩٣م.

٢٤ـ الشـوكاني، محمـد بـن عـلي بـن محمـد ت ١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٥م

فتـح القديـر الجامـع بـين فنـي الروايـة والدرايـة مـن علـم التفسـير، دار النـشر: دار الفكـر – بـيروت.

٢٥ ـ الصـدوق، أبـو محمـد علـيّ بـن الحسـين بـن موسـى بـن بابويـه القمـي ت٣٨١هـ ـ ٩٩١م

صفـات الشـيعة، النـاشر: كانـون انتشـارات عابـدي – طهـران (د. ت).

٢٦ ـ ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر ت٦٦٤هـ ـ ١٢٨٧م

سعد السعود، ط١، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م.

٢٧ ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠هـ ـ ٩٧١ م

المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

٢٨ـ الطبري، محمّد بن جرير ت٣١٠هـ ـ ٩٢٢ م

ـ تاريخ الطبري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت (د. ت).

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ.

٢٩ ـ الطبري محمّد بن جرير كان حياً بعد سنة ٤١١هـ ـ ١١٢٠م

دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات

الإسلامية مؤسسة البعثة، ط١، قم ١٤١٣ م.

٣٠ـ طنطاوي، محمّد سيد

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ١٩٩٨.

٣١ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمّد النمري ت٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠ م

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد بن عليّ البجاوي، ط١، دار النشر: دار الجيل ـ بيروت ١٤١٢هـ.

٣٢ـ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا ت٣٩٥هـ ـ ١٠٠٥ م

معجم مقاييس اللغة، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار النشر: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٣ـ القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر ت٦٧١هـ ـ ١٢٧٢ م

الجامع لأحكام القرآن، دار النشر: دار الشعب – القاهرة، (د. ت).

٣٤ ـ ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٢ م

ـ البداية والنهاية، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت، (د. ت).

ـ تفسير القرآن العظيم، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ.

٣٥ ـ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت ١٠٩٤هـ ـ ١٦٨٣م

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٦ ـ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق ت ٣٢٩هـ ـ ٩٤١م

الأُصول من الكافي، شرحه وصححه وعلق

عليه على أكبر الغفاري، ط٣، الناشر دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندي تهران ١٣٨٨ هـ.

٣٧ـ المجلسي، محمد باقر ت ١١١١هـ ـ ١٦٩٩ م

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ.

٣٨ ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين

الإمامة، ط٣، بغداد ١٩٨٧م.

٣٩ ـ المزي، جمال الدين أبو الحجاج ت٧٤٢ هـ ـ ١٣٤١م

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٥.

٤٠ ـ المظفر، محمد حسن ت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م

دلائل الصدق لنهج الحق، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، دمشق ١٣٨٠ هـ.

٤١ ـ مغنية، محمد جواد

فلسفة التوحيد والنبوة، ط٤، دار الجواد، بيروت ـ لبنان ١٩٨٤.

٤٢ـ المناوي، محمد عبد الرؤوف ت ٩٥٢ هـ ـ ١٦١٢م

التوقيف على مهمّات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١ القاهرة، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠.

٤٣ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ ـ ١١٣١ م

لسان العرب، ط١ دار النشر: دار صادر – بيروت، (د. ت).

٤٤ ـ النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب الشافعي ت ٣٠٣ هـ ـ ٩١٥ م

السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

٤٥ ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ ـ ١٣٣٣م

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: د. حسن قميحة، د. حسن نور الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٤٦ ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر ت٨٠٧ هـ ـ ١٤٠٤م

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار النشر: دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي – القاهرة، بيروت – ١٤٠٧هـ.

٤٧ ـ الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن ت٤٨٦هـ ـ ١٠٧٥ م

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت – ١٤١٥هـ .

٤٨ ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت بعد ٢٩٢ هـ ـ ٩٠٥ م

تاريخ اليعقوبي، دار النشر: دار صادر ـ بيروت.

الخاتمة

وختاماً.. وقبل أنْ نطوي آخر الصفحات، لا بُدَّ لنا من الإشارة إلى أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وآراء، ومنها:

١ـ بدراسة التعريفات الواردة في المعاجم اللغوية وما نقلته التفاسير القرآنية نستطيع القول إنَّ هناك شبه إجماع على تعريف متفق عليه لما ورد في آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ من حيث التأكيد على التخويف والوعيد، وهذا ما يمكن ملاحظته بالمقارنة مع الآيات القرآنية الأُخرى التي وردت فيها لفظة الإنذار، أمّا لفظة العشيرة هم الذين يرتبطون بالرابطة النسبية القريبة بدلالة ما ذكر في بيان مفهوم العشيرة ودرجة القرابة بين

رجالها، لأنَّ الرابطة تتمثل بالجانب النسبي وليس العاطفي، وبيّنّا أسباب ذلك في سياق البحث لغوياً وقرآنياً، كذلك لفظة الأقربين فتوصلنا إلى نقطة مهمة هي أنَّ أصحاب الدعوة في الآية القرآنية هم قرابة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وليس مطلق قريش، وهذا ما أثبتناه من حيث الإطار اللغوي أمّا من الجانب القرآني فقد تعددت الاشتقاقات اللفظية ودرسناها حسب السياق.

٢ـ هناك فوائد وآثار ترتبت على الإنذار من حيث البُعد العام والخاص للقضية موضوع البحث، وقد أوضحنا ذلك من خلال إدراج نقاط عدّة ارتبطت بهذا الأمر.

٣ـ هناك اختلاف في نقل المصادر لرواية إنذار العشيرة، فقد أوردنا الروايات المتعلقة بهذا الشأن من خلال عدّة مصادر وبيّنّا أسباب الاختلاف التي أدت إلى ذلك.

٤ـ كان لمبحث التلاعب التاريخي برواية إنذار

العشيرة التركيز الأكبر في البحث نظراً لحساسيته، إذ انبلجت صور التلاعب بالرواية من حيث استبدال ألفاظ الرواية وتحريف مضمونها، والغريب أنَّ التبديل والتحريف كان للمؤلف نفسه في كتابيه مثل الطبري وابن كثير ومحمّد حسين هيكل، وأوضحنا جملة من الأسباب والدوافع التي دفعت هؤلاء إلى انتهاج هذا النهج ولعلَّ أهم الأسباب هو انفتاح الرواية العقيّدي وحساسيتها في ذكر شخوص فيها، وما قرره النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله سبب في تمذهب القضية واستنتاجنا قائم على مصاديق عدّة في البحث، ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل تعداه إلى ذكر شخصيات لم تخرج للدنيا بعد أو لم تُسلم بعد وذكرت وزُجّت في الرواية لا لغرض إلَّا لإضفاء أسماء شخصيات لها ثقلها التاريخي لتعطي مصداقية أكثر وقبولاً أوسع للرواية، مثل زجّ اسم السيدة الزهراء (عليها السلام) وزوجات

النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وأبي هريرة.

٥ـ كانت لدعوة الأقربين دون غيرهم في هذا المقطع الزمني الحساس من الدعوة الإسلامية أسباب عدّة ولم تكن عن اعتباط، فقد أوضحنا بنقاط أهم الأسباب التي دعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله إلى ذلك وأثبتناها بإحدى عشرة نقطة.

٦ـ خصصنا مبحثاً أسميناه دلالات مهمّة في الرواية، وكانت هذه الدلالات المهمّة متعددة ومتنوعة ولم تقتصر على طرف معين بل تعدت إلى أطراف الرواية كلّها ومنها الإمامة وأهميتها منذ بداية الدعوة الإسلامية، وعملية الاختيار لم تخضع لاعتبارات تتقيد بالعادات والتقاليد، بل لمعايير وقيم أقرتها السماء، وغير ذلك من الدلالات في سبب تكرار النبيِّ للدعوة وعدم قبول موافقة الإمام عليٍّ عليه السَّلام منذ البداية وبيان مفهوم وقصديّة الوراثة في الرواية.


صلى الله عليه وآله وسلم
الشرفوي
١٤٣٩